والربوات والشجر وهاتيك الدنيا الصغيرة !! فلما كبرنا عن الصبي وكبرت الدنيا وصغرت ( الباروك ) — وكانت خيمة الناطور قد سقطت واندك الطاحون ، وعفت الدروب على النهر — لم يذهب من القرية شيء ! بل ظلت لنا ( الباروك ) قرية بنهر وجبل وضاحية ، كما كان عهدنا بها أول العمر . ذهب الناقل من ذلك الجمال الباروكي في غرق الايام وعتمة السواد ، وسلم ما ينبغي له . فلو مر جواد ( أبي الطيب ) في رأس الجبل لتناه راكبه ، ووقف يتلفت ! ولو نزل ( لامرتين ) بين البحيرات والدروب لآنس نعيما وظلا واخضراراً !!

• • •

هكذا نقول لاصحابنا في مشادة العبث بين ( القديم والجديد ) ، فالزمن يمسح الناقل ، ويبقى على المتحتم النافع - وليس في الادب قديم ولا جديد ، بل الأدب كد على الحق ، وولع بالجمال . تسقط عتمة الآباد الف مرة على الصنيع الفني الذي غمس بألوان الوله والسمد وهو السالم الباقي لا يأخذ الليل منه حرفا !

فالحسن — من على كل جيل . والتافه تافه أبداً . ما أخر القدم قيد شبر ، ولا قدمت الجدة قلامة ظفر

ولقد سبقنا الى الدنيا ، وجاءها اناس كلفوا بالجمال والحق . وداروا على اللباب في الدروب . فآنسوا نارا ثم انفوها ونزلوا رماداً . فكيف يسوغ لنا ، ونحن في الدرب من وراثهم ، أن نقطع مابيننا وبينهم ، ويقال أدب قديم وأدب جديد ؟ ؟ !

ان الكدح القاسي في صعيد الفكر ، والتضحية السمحة على مذبح (فينس) ، والتنقيب في رياض الصحيفة عن الدنا المنحجبة ، كل هذه عرفها الرصيف القديم ( بين الدخول فحومل . . . ) ..

فطلب البلاغ الحر ، وقلب النسق في الصنيع الفني ، وابدال الوانه وصبه على شكيلة الحياة القائمة كانت في وكد الاساتذة السالفين جيلا تلو جيل . وهكذا يقال في شيوع الخاطر من المستهل الى المقطع ، وفي تماسك الحس الذي لا يبذل للنور نفسه ، وفي الميسم المطبوع والنفس الخاص ، وفي المعنى الذي يسكن المبنى ولا يمد ساقيه على بجوحة اللفظ — ذلك كله كان من اغراض الاساطين فيهم ، يوفقون اليه حينا وينكصون عنه حينا . فليس الادب ابن يومه ، ما خطرت مطالب الحياة منه على بال احد في الزمن لتقوم الضجة علينا ، ويتنادوا بالويل بعد ان أردنا الأدب حياة وقوة وخلق

# تطور الفلسفة

بقلم علي محمد راضي
لبناني في التربية والآداب

الانسان المدرك رأس هذه الخليقة التي تدرجت نحو استكمال نموها حتى تمخضت عنه . ومتى ادرك ماحوله اعمل فكره في تعليل ما يرى ورجع الى نفسه يبحث انفعالاتها وآثار ارادتها ، فهو اذن فيلسوف بطبيعته ، ومدفوع للتفكير بحكم وجوده وعمل حواسه وعقله

واذا عني الباحثون بدراسة الحفريات لنوع واحد من الكائنات ليصلوا الى مقدار تطور حياته فما أولى طلاب العلم أن يصلوا بين حلقات تفكير الانسان منذ سكناه الكهف وصيده الوحش لاستخدامه الكهرباء واكتشافه مغناطيسية الحياة

الطبيعة والانسان متلازمان ، وبينهما أوثق الروابط . . هي معلمته التي تلقى عنها أول دروسه ، وهي موضع بحثه منذ اللحظة الأولى لوجوده ، يكافحها مرة فتتسع دائرة مجهوده وتفكيره ، ويستخدمها مرة فيبني صرح تقدمه وعظمته . ولكنها ضنينة باسرارها ، وهذا ما يبعثه على اعمال الفكر في تعليل مظاهرها وتكليف نفسه مشقة البحث عن أصل وجودها وعلة استمرارها

أبصر من مظاهر الطبيعة مالم يساعده عقله « الطفل » على فهمها ، وعجز عن التعرف على أسبابها ، فأحال صدورها الى قوى لايدركها تماما ، وما دامت لاتخضع لارادته أنها أقوى منه واشد

---

جناح . . وأطفأنا الشمس باكفنا ! ! !

وعندي أن الاساتذة الموتى الذين سلكوا السبيل قبلنا — وكأنهم مضوا ليفسحوا لنا المواضع — من حقهم أن يطرقوا خواطرنا ، وأن يرشفوا قليلا من الحياة في الفاظنا . فهم ، رحمهم الله ، لم يبق لهم من سبيل الى الضياء الا هذه الحروف التي تشع فيها خواطرنا

هذا حال الادب هيهات أن ينقطع . والأدب بشرى قبل كل شيء ، فليس في استطاعة أحد أن يقطع الحبل ! والأدب أخو الحياة لا قديم فيه ولا جديد ، بل هو وله بالجمال وكد على الحق ، وما عداهما فهراء ! ؟

لبنان — أمين نخله

بطشا ، ولذا اعتقد بالارواح الساكنة فى الغابات ، وقدم للآلهة المتعددة القرابين ليبعد بها عن نفسه غضبها ، بل واعتقد بتجسد هذه الأرواح فى بعض الكائنات الحية . وكان اليونانى يعتقد بالله الحب والقوة والجمال والماء والأرض ، ولا يزال الهندوس يقدسون البقر ، وبعض أهالى فارس يوقدون النار ليطردوا إله الظلام ويساعدوا إله النور . وعليه فالعقيدة هى محور الفلسفة الأولى الذى دارت حوله ، وطبيعى ان يلجأ الانسان وهو منزعج الحواس بما يكتنفه من هزيم الرعد ووميض البرق وانبثاق الحمم المستعرة إلى الاعتقاد بوجوب التقرب والخضوع للقوة التى تصدر عنها . . أنه بذلك يدرأ عن نفسه غضبها ، وتهدأ وساوس نفسه وشكوكه

ولكن لم يقف تفكير الانسان عند هذا الحد الذى تسلط فيه عليه الوهم ، بل جعل يفكر فى منشأ هذا الكون . . . والعالم فى نظره الأرض التى يعيش على سطحها ، والشمس التى تمده بنورها ، والقمر والكواكب التى تشمع كلما جن الليل ، فقال بوجود العناصر الأربعة « التراب . والماء . والهواء . والنار . » ثم تدرج إلى القول بوجود عنصر واحد هو الماء ، ثم عدل عنه الى الهواء لأنه أبسطها وأسرعها انتشارا . ولعل هذا هو اساس الاعتقاد بالسديم الذى لا يخرج عن كونه غازا ملتهبا متحركا حول مركز جذبه . . واليوم يؤمن الانسان بوجود الأثير ، ولم يصل بعد الى تعرف طبيعته ويضطر لافتراض وجوده ليعلل حدوث الاهتزازات والتموجات التى تنشأ عنها القوى المحركة والمرتبة للجزئيات الترتيب الذى يجعلنا نرى المادة فى أوضاع واشكال مختلفة

واخيرا قام مذهب المعتقدين بوجود وحدات كهربائية (الكترونات) تتحرك بواسطة التجاذب الذرى ، وأن الكهربائية نفسها مؤلفة من ذرات . وقد قاد الانسان إلى بحث سر الطبيعة ما اودع فى نفسه من كلف بكشف كل ما يغمض عليه فهمه أو تعليله . . وقد اداه هذا الشغف الى التفكير فى أمر نفسه لا من حيث الاحتفاظ بوجوده وسد حاجاته الضرورية ، ولكن من ناحيه فلسفية أدق ووجهة اكثر تعقيدا . .

يشعر الانسان بوجوده بطريق يقينى ، وهذا اصل معرفته ، ولكنه لم يدرك كيف تقوم معرفه لما يحيط به ، وكيف يفكر ؟ وما هى القوة الباطنة التى تؤثر فيه وتوجهه الى حيث تريد ؟ . .

الى هنا طويت صحيفة الفلسفة الطبيعية التى أضاع وقته فى خلق فروضها طاليس وانكسمندر وانكسيمنس . . وبدأ طور جديد تدور أبحاثه على الانسان نفسه ، ويعتبر الواضع للأساس الجديد سقراط زعيم فلاسفة اليونان وتلميذه افلاطون . . ولكنهما لم يتعرضا لتحليل العقل الانسانى باعتباره القوة المدركة ، ولم يذكرا لنا شيئا عن ماهية النفس الانسانية وقصرا بحثهما على اعمال الانسان ووجوب مطابقتها لما هو حق وعدل وخير . . صحيح أن افلاطون كان يقول بقدم المادة ، ولكنه كان يعلل عملية الأدراك بوجود صورة سابقة فى النفس للكائنات الموجودة ، فهو القائل بوجود عالم العقل وعالم الحس .

والحقيقة أن دراسة الفلسفة الانسانية من الناحية التى عنى بها المعلمون الثلاثة « سقراط وأفلاطون وأرسطو » تنطبق على مباحث علم الأخلاق أكثر من مباحث الفلسفة نفسها ، ولهذا كان غرض أقطاب الفلسفة الحديثة إتمام النقص الذى ظل موجوداً بعد الفلسفة اليونانية .

ومباحث الفلسفة الحديثة تتم الفلسفة الانسانية من حيث تحليل الحركة الفكرية ، وعلاقة الجسم بالعقل ، وقدرة العقل على فهم الحقائق ، وحركة الفكر الذاتية « التأمل » ، ثم بحث النفس الانسانية وهل لها وجود مستقل أو هى نتيجة لاتحاد القوى المدركة بالقوى المفكرة فى الانسان ؟

ولما كانت هذه المباحث من المعضلات العويصة الحل اتخذ كل فريق من الفلاسفة لحلها طريقاً خاصا ، ففريق اعتمد على العقل وحده فانهدم صرح العقائد الموروثة ، وعاد العقل يزنها بمقياس الاستقلال الفكرى مستعينا بقوانين المنطق ، ولكن الثورى على جماعة العقليين قصدهم لان العقل بدأ يبحث نفسه ، وتطرق الشك الى كيفية حدوث الادراك ، واذ ذاك لم يجد الباحثون بدا من الالتجاء الى الحواس والاعتراف بأنها طريق الادراك ، وهذا أساس المذهب « التجريبى » ، ومع ذلك قام من يثبت أن الحواس تقوم بعمل ميكانيكى ، وان المخ فى دائرة عمله فى الحكم على ما تحمله اليه الحواس قاصر ، وان هناك بجانبه وجدانا له انفعالات خاصة لا دخل للحواس ولا للعمل الفكرى فى احداثها . ولذا قسموا العقل فقالوا بالعقل المدرك والعقل الملهم أو الخالص

ويطول البحث اذا أتينا على حجج كل فريق ، ولكن مما لا شك فيه أن للنفس البشرية وجوداً مستقلا وارادة خاصة غير ما

تبعثه فيها البواعث الخارجية ويصل اليها من طريق الحواس

والذى يهمنا أن الفلسفة تحولت من أعمال الانسان الى أفكاره ومن تفكيره الى ماهية نفسه . وهذا آخر مدى وصلت اليه الفلسفة الانسانية .

واليوم تقوم فلسفة أخرى تبحث النوعين الرئيسيين ، الفلسفة الطبيعية والانسانية ، لا على انهما منفصلان ، ولكن على أساس ايجاد الروابط التى تربط الانسان بالطبيعة ، ونتيجة هذا البحث الوصول الى الغرض الأسمى الذى لم يستطع الانسان منذ وجوده أن يظفر به لقصر تفكيره ونقص استعداده . إن اليقين بوجود الله من طريق العقل قد حل مشكلات الفلسفة قديما وحديثا . .

لقد أدرك الانسان أن ما يراه من مظاهر الطبيعة لم يسخر له اعتباطا ، وأن القوانين الطبيعية التى لم يتطرق اليها الخلل لم توجد اتفاقا ، وأن صلة الانسان بالطبيعة ضرورية ، وأن عظمة الخالق كما تظهر فى سر الكهرباء والجذب تظهر فى سر النفس وخلود الروح ، وكما عجزنا عن تعرف ماهية القوة السببية للحركة العامة المادة . فما أحرانا أن نكتفى من بحث الروح باليقين بوجودها .

إن نوعا من الفلسفة لا يزال غير مطروق مع عظيم فائدته . . على الفلاسفة اليوم أن يتركوا بحث الانسان فزداً فقد قام الانسان بنصيبه من التفكير فى أمر نفسه . ولكن عليهم أن يضعوا لنا فلسفة أجدى ، وأن يصرفوا جهودهم لبحث القوانين العامة التى يجب أن تربط المجتمع الانسانى . . إن فلسفة المجتمع هى الغاية التى يجب أن ننشدها لتم سنة الارتقاء وهى الناموس الذى يحكم الطبيعة والانسان ؟

على محمد راضى

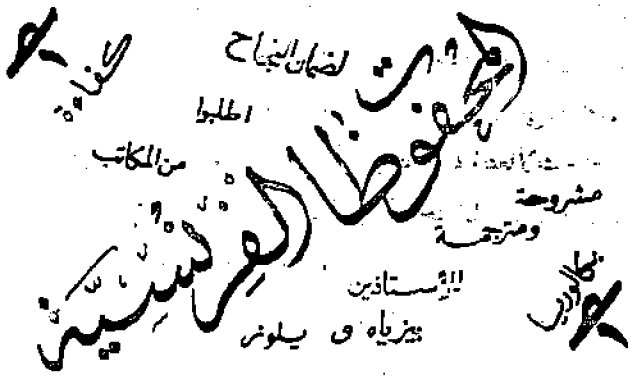


قصة من الواقع

# الأمل الضائع

## أو كذبة ابريل

لاتظن أيها القارىء الكريم أنى سأحدثك عن سبب هذه الكذبة ، ولا متى وأين وجدت ؟ فذلك بالمؤرخ أجدر ، ولا عن مدى أثرها فى نفوس من وقعوا فى حبائلها : أخير هو أم شر ؟ أجميل أم قبيح ؟ أنافع أم ضار ؟ فذلك بعالم الاخلاق أو النفس أليق . إنما أحدثك بلسان أديب ، رأى رأى العين قيصة من قمائص هذه الكذبة ، على غير علم منه أنها قيصة ، وإنما أردت أن أطرف بها القراء ؛ لأنها كما سيرون طريفة حقا ، محكمة فى نسجها إحكاما ، حتى لقد بدت — وهى الباطل المزخرف — كأروع مايكون الحق ، ومثلت مع أديب شاعر لينسرب إلى قلبه الشك فى صدقها ؛ ولعل ذلك إلى أن الأديب خلق أطهر الناس فطرة ، وأنقاهم سريرة . . . ضحك الأديب المكذوب عليه مع من ضحكوا على هذه الاكذوبة ، وربما كان أكثرهم اغراقا فى الضحك ، ذلك أنه وقف من أصحابها موقف جاد من هازلين ، متفرج على ممثلين ؛ صادق مع كاذبين

طرحت إحدى المجلات الشهرية المصرية على الشعراء مسابقة أدبية ، ذات جوائز مادية ، وانتهى موعد التقديم ، وترقب كل شاعر وأديب نتيجته ، كما يترقب المسهم فى بعض الأنصبة نصيبه . .

وفى ذات ليلة من ليالى ابريل ، فكر ثلاثة من الاصدقاء فى أن يكذبوا « كذبة ابريل » ولم يطل التفكير ؛ فقد كانوا مسهمين فى هذه المسابقة الادبية ، فلماذا لاتكون المسابقة هى مادة الكذبة ؟ ولماذا لايكون أحد المتسابقين غيرهم موضوعها ؟ ولماذا لا يكون ذلك الأحد صديقا لهم ، اشتهر فيهم بالحلم ، فأمسوا عاقبة ماتحدثه الكذبة فى صدره ؟ وأخيرا لماذا لا يتلهون بهذه الأكذوبة ويقطعون بها وبالحديث عنها فترة الانتظار ، انتظار النتيجة الممل

اختمرت الفكرة ، ولكن بى أن تصقل بصيقل الدهاء ، وترتب سرادقها تباعا ، ويشذب ماعساه يبدأ فيها من شبه وظنون ،